سورة العصر
أسرار بيانية ودلالات تربوية

د. أحمد فريد صالح أبو هزيم*

---

* أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان أن سورة (العصر) – مع أنها من أقصر سور القرآن الكريم –، فإنها بليغة من نوعها، فهي تتضمن منهجاً ربانياً كاملاً جامعاً لمقومات المجتمع، بما احتواه من دلائل تربوية واضحة في كلمات قصيرة، تحمل معاني عظيمة من الفضائل المثلى، ودلالات واسعة شاملة مشدودة بخيوط متينة، ومرتبطة بعضها مع بعض.

أولى هذه المقومات: الإيمان بالله تعالى الذي يقر في القلوب تصديقاً ويقيناً، فهو يشكل الإطار المرجعي الأول للقيم الفضلى التي بها تحيا القلوب، وتسمو الأرواح، وهو السبيل إلى الحياة الكريمة الطيبة.

ثانيها: العمل الصالح المقترن بالإيمان، الذي يفيض على الجوارح سلوكاً وعملاً، ويوظف الطاقات؛ ليكون صورة عملية واقعية يتجلى فيها؛ ليثبت وجوده.

ثالثها: التواصي بالحق وهو الخير كله،

ورابعها: التواصي بالصبر.

إن التزام الإنسان بهذا المنهج السديد: هو الفوز بالسعادة، والنجاة من الخسران.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أنزل الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم مأدبة من السماء حافلة بالطيبات من الرزق محملة بالكريم الغدق من النعم، ذلكم هو القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢).

روي الترمذي في سننه من حديث على بين أبي طالب رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (ألا إنها ستكون فتنة! فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (الجن: ١، ٢)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)[1].

(١) الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القران رقم (٢٩٠٦) ج ٥ ص ١٧٢، الدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ القران برقم (٣٣٣١) وابن أبي شيبة في المصنف رقم ١٠٠٥٦، وإسناده ضعيف، في إسناده مجهولان: أبو المختار سعد الطائي، وابن أخي الحارث، ورواه أحمد رقم ٧٠٤، وأبو يعلى الموصلي برقم ٣٦٧ مختصرا بإسناد آخر، وفيه: الحارث الأعور ضعيف. ثم هومنقطع.

فالقرآن مأدبة الله تحمل الشفاء والرحمة، يتغذى منها الروح والعقل فتتخلق منها ملكات علوية، ووجدانات ربانية، بها يسمو الإنسان ويعلو، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود عن تلك المأدبة (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم)[١]، ذلك لأن القرآن الكريم المأدبة: علم، وحكمة، وتربية، وخلق، وليس مأدبة مادية.

والواقع: أن الأمة الإسلامية قد أدركت هذه الدلالات العميقة المتأصلة في القرآن الكريم، فانتقلت بتأثيره، وقوته الفاعلة المؤثرة من الظلمات إلى النور، فرفع قدرها، وأعلى شأنها، وهداها في كل شأن من شؤون حياتها، وأقامت على أساسه دولتها وعزها ومجدها، وفتحت به العالم، فكانت لها حضارة ومجد وكرامة.

أما من تولوا وأعرضوا عن كتاب الله تعالى منهم، ولم يتلقوا ما فيه من خير وهدى، ويطمعون مما ترمي به الحياة إليهم من زبدها وغثها، وتشغلهم ملذاتهم، ومتع الحياة الدنيا الفانية، فقد هاموا على وجوههم فهانوا وذلوا، وتخلفوا عن ركب الحياة، فخسروا وخسر العالم بانحطاطهم. يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (سورة طه: ١٢٤ - ١٢٧).

واليوم تتطلع الأمة الإسلامية إلى النهوض من جديد لممارسة رسالتها التاريخية التي خصها الله تعالى بها، ليس من أجلها فقط، ولكن من أجل الناس جميعا؛ إسهاما في إنقاذ نفسها، وإنقاذ الحضارة العالمية مما ألم بها من ضلال واختلال.

(١) أخرجه البيهقي في سننه الصغرى، رقم ٩٨٣، وأخرجه بهذا اللفظ عبد الرزاق في مصنفه برقم (٦٠١٧)، ومن طريقه: الطبراني في (معجمه الكبير) برقم ٨٦٤٦ موقوفا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وفي سنده إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف.

وإذا كان القرآن الكريم سبباً في نهضة هذه الأمة في بدايتها، فلا بد أن تعول عليه في نهضتها الحالية: تسترشد به، وتستلهمه في تلبية حاجاتها الجديدة، وحل مشكلاتها الكثيرة.

والحق الذي لا مراء فيه: أن أهم القضايا التي تحتاج إلى إعادة النظر، ومعالجة دقيقة حين تتعرض الأمم إلى النكبات، أو حين تكثر في طريقها العقبات والآفات: هي القيم الإيمانية، التي لا بد من وجودها في كل مجتمع يريد لتنظيماته الاجتماعية الاستمرار والاطمئنان والسؤدد. ولن يكون ذلك إلا من خلال الرسالة التي يحملها المسلمون للعالم، وهي رسالة ربانية للإنسانية، تتميز بخصائص لا تتوافر في غيرها. منها: تهيئة الإنسان ليقوم بعمارة الأرض، وخلافة الله، وعبادته تعالى، بالإيمان الصادق، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. فهي من أهم الموضوعات التي تعني الأمم؛ لما لها من أثر فعال في تربية الأفراد والمجتمعات الصالحة، وتنمية المفاهيم الإنسانية الخيرة في بني البشر.

إن هناك دعوات لكثير من الباحثين والمفكرين تدعو إلى ضرورة إنقاذ المجتمعات من الآفات الجسيمة التي تنخر في جسمها، ورغم توافر الأسباب والدواعي في سبيل معالجة تلك المشكلات، إلا أنها لم تكلل بالنجاح، ترى ما سبب هذا الإخفاق؟ إنه المنهج القاصر الذي خلا من القيم التربوية الأصيلة التي تبني الإنسان الرسالي على الأسس الصحيحة، وتجنبه الانحراف عن جادة الصواب، على خلاف المنهاج التربوي المتكامل الذي تضمنه القرآن الكريم المواتي لفطرة الإنسان، بما احتواه من الدلائل التربوية البينة التي ترفع شأن الإنسان، وتلائم كرامته، وتحمله على سلوك طريق الخير، طمعاً في ثواب الله تعالى، وخوفاً من عقابه.

أقول: إذا أراد هؤلاء المفكرون الدعاة سعادة البشرية، وإذا أراد العالم الإسلامي والعربي أن ينهض من جديد ليتبوأ المكانة التي تليق به، وأن يضطلع بمسؤولياته الرسالية التي أكرمه الله تعالى بها، عليهم جميعاً أن يعتصموا بمبادئ القرآن الرشيدة التي تتمثل في سورة العصر، من أجل هذا كان هذا

البحث الذي (سميته سورة العصر: أسرار بيانية، ودلالات تربوية)، الذي لا يعدو أن يكون نظرات في هذه السورة المباركة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر: ١-٣).

ومع أنها وجيزة إلا أنها بليغة من نوعها، فقد بينت للبشرية المنهج السديد للفوز بالسعادة، وأسلوب النجاة من الخسران، شريطة أن يحسن الفهم لها فهماً سليماً يقيم في كيان الإنسان إيماناً راسخاً، ووازعاً قوياً ملهماً، وأن يعمل بها عملاً صادقاً يبرز الهداية التي تضمنتها، وأن يقدم للناس أنموذجاً يرى، لا كلاماً يقال.

وإني أعترف أن ما كتبت ما هو إلا محاولة متواضعة، اعتمدت في تسطير مطالبها على المصادر الأصيلة في التفسير ونحوه، ولم أهمل الاستفادة من البحوث الأخرى. محاولة أن أضمها إلى المحاولات الأخرى التي كتبها علماء أجلاء عسى أن يستفاد من كل هذه الكتابات من يطلع عليها، ويسترشد بما فيها من توجيهات مستقاة من القرآن الكريم.

منهجية البحث:

التزمت في هذا البحث المنهج التالي:

(١) التركيز على كل ما من شأنه خدمة الموضوع.

(٢) إبراز بعض الجوانب التي تشكل أصلاً فيه.

(٣) قمت بتحليل ألفاظ آيات السورة الكريمة ومعانيها.

(٤) إبراز بلاغة التعبير القرآني في السورة الكريمة بأسلوب سهل ومرتب، من غير إطناب ممل، ولا اختصار مخل.

(٥) استنباط أهم مظاهر وأسباب كل من الفوز والخسران كما وضحتها السورة الكريمة.

(٦) الاستعانة في كل ما سبق بما تيسر لي الرجوع إليه من كتب التفسير

المهمة القديمة والحديثة، لا سيما التي كان لها عناية بالجانب البياني، وكذلك كتب إعجاز القران الكريم، وبعض الكتب التربوية المعاصرة التي لها علاقة بالموضوع، وأيضاً كتب معاجم اللغة وغيرها من المراجع المتعلقة بالبحث.

(٧) الحرص على توثيق جميع النقول، وذكر بعض التعليقات إذا اقتضى الأمر.

(٨) عزو آيات القران الكريم الواردة في البحث إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآيات فيها.

(٩) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في البحث تخريجاً علمياً وفق قواعد أصول الحديث.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: مقدمة عامة عن سورة العصر.

المبحث الثاني: القسم بالعصر ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾.

المبحث الثالث: الإنسان الرسالي، وحقيقة خسرانه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾.

المبحث الرابع: مقومات بناء الإنسان: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾. ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

المطلب الثاني: العمل الصالح ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

المطلب الثالث: التواصي بالحق والصبر ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

الخاتمة: فقد بينت فيها أهم نتائج البحث.

وبعد: فهذه خطتي لهذا البحث ومنهجي فيه، وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ (هود الآية: ٨٨)

المبحث الأول

مقدمة عامة عن سورة العصر

* مكيتها وعدد آياتها:

اتفق العلماء على أن عدد آياتها ثلاث، وهي من السور المكية.

قال البيهقي في دلائل النبوة[(١)]: عن عكرمة والحسين بن أبي الحسن قالا: أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك، و [ن]، والمدثر، وتبت يدا أبي لهب، وإذا الشمس كورت، وسبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى، والفجر، والضحى، وألم نشرح، والعصر .....

وقال ابن الضريس[(٢)] في فضائل القرآن[(٣)]: عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه ابن عباس قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء. وكان أول ما أنزل من القرآن: اقرأ باسم ربك، ثم [ن]، ثم يا أيها المزمل، ثم يا أيها المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر .. إلى القول فهذا ما أنزل الله تعالى بمكة[(٤)]. وفي قول: إنها مدنية، وهو رأي مجاهد وقتادة ومقاتل[(٥)].

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ١٤٢.

(٢) هو محمد بن أيوب بن يحيى الضريس. انظر تذكرة الحفاظ ٢: ٥٩٢

(٣) فضائل القران ص ٣٣- ٣٥.

(٤) انظر كتاب الإتقان في علوم القران لجلال الدين السيوطي، تحقيق عصام فارس الحرستاني، في معرفة المكي والمدني، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، دار الجيل للنشر ص ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢.

(٥) انظر كتب التفاسير الآتية: جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة للنشر والطباعة، بيروت، وانظر نسخة تحقيق محمد مرسي عامر، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧م/ مكتبة عبد الرحمن محمد، القاهرة، ج ٤/ ٨٠٠. ابن عطية الأندلسي ت ٤٦٠هـ، =

والذي يطمأن إليه أن السورة مكية، كما جاء ذلك صريحاً في الإتقان في معرفة المكي والمدني، (وكان أول ما أنزل من القرآن) كما تقدم بيانه.

* فضلها:

عن أبي مدينة الدارمي – وكانت له صحبة – قال: كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لن يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾. رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح. وعن عبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة ثم قال: على مكانكم اثبتوا، ثم أتى الرجال فقال: **(إن الله عز وجل أمرني أن آمركم أن تتقوا الله، وأن تقولوا قولاً سديداً)** ثم تخلل إلى النساء فقال لهن: **(إن الله يأمرني أن آمركن أن تتقوا الله وأن تقولوا قولاً سديداً)** – قلت فذكر الحديث – رواه أحمد والبزار إلا أنه قال: للنساء أن تتقين الله، وأن تقلن قولاً سديداً، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح[(١)].

والسورة على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت، فقد روى عن الشافعي

= **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله / طبعة دار الفكر العربي – القاهرة، ج ٥/ ٥٢٠. الإمام أبو السعود محمد العمادي ت٩٥١هـ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** / دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، ٩ / ١٩٧، وانظر شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله شكري الالوسي ت ١٢٧٠هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، طبعة دار الفكر – بيروت. وانظر طبعة دار إحياء التراث العربي/ بيروت ج ٣٠ / ٢٢٧. محمد بن على الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ – ١٨٣٤م، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، ج٥ / ٤٨٧ .

(١) المعجم الاوسط، باب العين، باب الميم من اسمه محمد، رقم (٥٢٨١). وأورده الهيثمي **في مجمع الزوائد** ومنبع الفوائد: باب: منه في المواعظ، ٤ / ٢٦٣، وفي باب ذكر الموت ج٤ / ٤٩٧.

عليه الرحمة أنه قال: لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس لأنها شملت جميع علوم القرآن[١].

مقاصد سورة العصر وما تضمنته من أهداف:

تتجلى أهمية هذه السورة الكريمة وتبرز قيمتها في كونها تبني المجتمع على أساس من وحدة العقيدة، وتعمل على تكوين أفراد لهم خصائص ذاتية تؤهلهم في تكوين مجتمع سليم متقدم، وكل هذا على أساس من الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

فأنت تري أن هذه السورة – على وجازتها – لها شأن عظيم، فقد وضعت منهجاً أصيلاً وضعه رب العالمين، متكاملاً، ومضبوطاً بقواعد سليمة، وأسس قوية، للوصول إلى تحقيق هدف محدد، ومقصد سديد. حتى قيل عنها ما قيل من الإشادة والأهمية[٢].

المناسبة بين سورة العصر والسورة السابقة والسورة اللاحقة لها:

إن إدراك المناسبة بين هذه السورة وسابقتها أمر مهم لمن أراد أن يلقي الضوء على محور السورة ومقاصدها، كما أن الوقوف على المناسبة بين سور القران الكريم، يوصلنا إلى سر من أسرار بلاغته من حيث قوة الترابط والاتصال، والتآخي بين ألفاظه ومعانيه. وتظهر لنا هذه المناسبة من جوانب متعددة منها:

١ – لما بين الله تعالى في سورة التكاثر، تعلق الناس بالأموال والأولاد والتباري في كثرتها والتباهي بها، والاشتغال عما يعني ويهم ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ (التكاثر: ١)، منفقين أعمارهم في طلب الدنيا، والتهالك عليها،

(١) انظر: الالوسي، **تفسير روح المعاني**، ج ٣٠ / ٢٢٧، **والشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، دار المعرفة، بيروت، ج٥ / ٤٨٧.

(٢) انظر: محمد بن أبي بكر قيم الجوزية الزرعي، ت: ٧٥١هـ **التبيان في أقسام القرآن**، دار الفكر، بدون، ١ /٥٣

إلى أن يأتيهم الموت ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ (التكاثر: ٢)، لا هم له غيرها عما هو أولى به من السعي لعاقبته، والعمل لآخرته. وهذا بلا شك في غاية التقبيح والذم والخسران، سببه الجهل، وعدم التفكر في العاقبة؛ لأنهم لو كانوا يعلمون علم اليقين التهديد والوعيد الذي يلحق المتعلقين بالدنيا والراكنين إليها، لما ألهاهم ذلك حتى باغتهم الموت: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ (التكاثر: ٣-٥).

نقول: لما بين الله تعالى ذلك، شرع في سورة العصر في بيان سبب هذا الخسران الذي يقع فيه الإنسان، وأنه هو الجهل الذي يجر إلى الكفر والتمادي في الباطل. وبين لنا ما يتعين على الإنسان فعله، والالتزام به وهو الإيمان الصادق والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر[(١)] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ (العصر: ٣)؛ لنحقق الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

٢ - ومن وجوه المناسبة - أيضاً -: ما أشار إليه جلال الدين السيوطي في كتابه تناسق الدرر - فيما يخص السياق العام لهذه السورة الكريمة - قال: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها، كأنه لما قال هناك: [فأمه هاوية]، قيل: لم ذلك؟ فقال: لأنكم أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، فاشتغلتم بدنياكم، وملأتم موازينكم بالآثام؛ ولهذا عقبها بسورة الْعَصْرِ المشتملة على أن الإنسان لفي خسر، بياناً لخسارة الدنيا، ونماء تجارة الآخرة ولهذا عقبها بسورة الهمزة المتوعد فيها من جَمَعَ مَالاً [وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ]، فانظر إلى تلاحم هذه السور الأربع، وحسن اتساقها[(٢)].

---

(١) انظر التفاسير الآتية: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٩ / ٩٢ - ٩٣. والشوكاني، **فتح القدير**، ٥/ ٤٨٨. والألوسي، **روح المعاني**، ج٣٠ / ٢٤.

(٢) الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي ت ٩١١هـ** ، **تناسق الدرر في تناسب السور** ص١٠١.

المبحث الثاني
القسم بالعصر

القسم هو: طريق من طرق توكيد الكلام المشهورة لدى العرب، فقد كان من عادتهم إذا أرادوا توكيد أمر - لا سيما في الأمور العظيمة منها - جاءوا بالقسم، فهو أقوى طرق التوثيق لديهم، وأكثرها تحقيقاً، لأنه يفيد الجزم بصحته، وقد بلغ من شأن القسم عندهم، أنهم كانوا يحترزون كل الاحتراز من الأيمان الكاذبة، ويعتقدون أنها شؤم على صاحبها تجلب الخراب. وكتاب الله تعالى - كما هو معلوم - نزل بلغتهم، وعلى أسلوب كلامهم، ومناحي خطابهم، ولما وقف الناس منه مواقف متباينة، من حيث القبول والرضا به، والإعراض عنه، جاء القسم في القرآن الكريم - على اختلاف أنواعه - لدفع الشبهات، وتقرير الحجة، وتوكيد الأخبار؛ لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر، وتمكن الشيء في نفسه وتقويه. يقول ابن يعيش: (الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات)(١)، وهذا ما اقره ابن القيم(٢) .ولما كان هذا البحث ليس من أغراضه الخوض في تلك الأقسام، لذا سأقتصر على ما له علاقة به.

استهل الله تعالى هذه السورة الكريمة بالقسم ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، وله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته سبحانه؛ لأنها تدل على عظمة بارئها، وهو الله تعالى، أو للإشارة إلى فضيلتها وشرفها ومنفعتها؛ ليعتبر بها. (ولذا لو قيل : (وصلاة العصر) فعلنا، فكيف يجوز أن يقال: أقسم الله تعالى به ؟ والجواب: أنه ليس قسماً من حيث إنها فعلنا، بل من حيث إنها أمر شريف تعبدنا الله تعالى به)(٣). عن الحسن: (إن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن

---

(١) ابن يعيش موفق الدين يعيش بن على، **شرح المفصل** ج٩ / ص ٩٠.

(٢) ابن القيم الجوزية، **التبيان في اقسام القران** ج١ ص ٢.

(٣) محمد بن عمر الرازي ٦٠٦هـ، ١٢١٠م **التفسير الكبير** - دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى، ج ٣٢ ص ٨٣.

يقسم إلا بالله)[١]، لأن حلف العباد بغير الله تعالى ضرب من الشرك. روي عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)[٢]. وفي لفظ: (من حلف بغير الله قد أشرك)[٣]، ففي ذلك تعظيم لذاته وصفاته.

أقسم الله تعالى بالعصر الذي هو اسم للزمن كله، أو جزء منه[٤]؛ ولذا اختلف في المراد منه – عند أهل التفسير – على أقوال، حيث لم يبين ما المراد بهذا الكلام:

أولاً: قيل العصر هو الدهر كله، أقسم الله به لما فيه من العجائب، أمة تذهب، وأمة تأتي، وقدر ينفذ، وآية تظهر، وهو هو لا يتغير، ليل يعقبه نهار ونهار يطرده ليل، فهو في نفسه عجب. واستدل لهذا القول بما جاء موقوفاً عن علي رضي الله تعالى عنه، ومرفوعاً من قراءة شاذة: والعصر، ونوائب الدهر. وحمل على التفسير إذ لم يصح قرآناً، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس. وغيره، فالعصر مثل الدهر ومنه قول الشاعر:

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر[٥]

---

(١) انظر: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧هـ، **تفسير القران** ، المكتبة العصرية، صيدا، ج١٠ ص ٣١٨٨، وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤ هـ، تفسير القران العظيم، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ ج ٤ ص ٢٧٤.

(٢) رواه الترمذي، **كتاب الأيمان والنذور** ، ٣ /٤٥، **رقم (١٥٧٤)** ، وأحمد رقم ٤٩٠٤، وأبي حيان في صحيحه ١٠/ ١٩٩ رقم ٤٣٥٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٧، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٨/ ١٨٩

(٣) أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء، دار الفكر، ج٣، ص ٢٢٣، رقم ٣٢١٥.

(٤) لمزيد من الاطلاع على معنى العصر لغة انظر: [أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (الراغب)ت ٥٠٢هـ، **المفردات في غريب القرآن** – تحقيق / محمد سيد كيلاني– دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى ص ٣٣٦، ومحمد بن مكرم بن منظور ت٧١١هـ – ١٣١١م، **لسان العرب**، دار صادر، وكذلك دار بيروت١٣٧٥، هـ، وانظر طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج ٤، ص ٥٧٥.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت٦٧١هـ ، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ج٢٠، ص ١٧٨.

ثانياً: وقيل: العصر: الليل والنهار. ويقال لهما: العصران[1]، قال حميد بن ثور:

ولن يلبث العصران: يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما[2].

وهذا في الواقع من أجل النعم وأعظم الدلائل على قدرة الله تعالى وعظمته، كما أن في تعاقبهما من الدروس والعبر ما لا يخفي على كل ذي بصيرة. يقول ابن القيم: (أقسم الله تعالى بالعصر لمكان العبرة والآية فيه، فإن مرور الليل والنهار دليل على تقدير قدرة العزيز العليم، منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام، وتعاقبهما واعتدالهما تارة، وأخذ أحدهما من صاحبه تارة، واختلافهما في الضوء والظلام، والحر والبرد، وانتشار الحيوان وسكونه، وانقسام العصر إلى القرون والسنين والأشهر والأيام والساعات، وما دونها آية من آيات الرب تعالى، وبرهان من براهين قدرته وحكمته)[3]. وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان: ٦٢).

ثالثاً: وقيل: هو صلاة العصر؛ لكونها الوسطى. وهو قول مقاتل، وكان كذلك؛ لأن الله تعالى نوه بفضلها وقيمتها، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨). روي البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى البردين دخل الجنة)[4] والبردان هما: صلاة الصبح

---

(١) انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤، ص ٥٧٦.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ٢٠ / ١٧٩، وانظر: الإمام محمد بن يوسف أبو حيان الغرناطي – ت٧٥٤هـ، **البحر المحيط**، ط: دار الفكر / بيروت، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٨م، ج٨/ ٥٠٧.

(٣) ابن القيم الجوزية، **التبيان في أقسام القرآن** ١/ ٥٣.

(٤) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت ٢٥٦هـ، **صحيح البخاري**، كتاب: مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، ب رقم ٥٧٤ ورواه مسلم ابن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر رقم: ٦٣٥.

والعصر. روي البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم – وهو أعلم بهم – كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون)**[١].

ثم إن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم. أضف إلى ذلك: أن صلاة العصر بها يحصل ختم طاعات النهار، فهي كالتوبة، بها يختم الأعمال، فكما تجب الوصية بالتوبة كذا بصلاة العصر؛ لأن الأمور بخواتيمها، فأقسم بهذه الصلاة تفخيماً لشأنها، وزيادة توصية المكلف على أدائها، وإشارة منه أنك إن أديتها على وجهها عاد خسرانك ربحاً، كما قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٢].

رابعاً: ومن معاني العصر: قيل: عصر النبي صلى الله عليه وسلم، أو زمن أمته،[٣] واحتج على ذلك بما روى البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً! قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ)[٤]

---

(١) رواه **البخاري** في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، حديث رقم ٥٥٥، ورقم ٣٠٥١، ورواه مسلم **في صحيحه**، كتاب: المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر رقم: ٦٣٢. ورواه **ابن حبان** رقم ١٧٣٦.
الالوسي، **روح المعاني**، ١٦ / ٤١٠.

(٢) انظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢ / ص ٨١، ٨٢.

(٣) الالوسي، **روح المعاني**، ج١٦ / ٤١٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، رقم ٢٢٦٨

ويعقب الرازي على هذا الأثر بالقول: (فهذا الخبر دل على أن العصر هو الزمان المختص به وبأمته، فلا جرم أقسم الله به، فقوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ أي والعصر الذي أنت فيه فهو تعالى أقسم بزمانه في هذه الآية وبمكانه في قوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ (البلد: ٢)، وبعمره في قوله: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ (الحجر: ٧٢)، فكأنه قال: وعصرك وبلدك وعمرك، وذلك كله كالظرف له، فإذا وجب تعظيم حال الظرف فقس حال المظروف، ثم وجه القسم، كأنه تعالى يقول: أنت يا محمد حضرتهم ودعوتهم، وهم أعرضوا عنك، وما التفتوا إليك، فما أعظم خسرانهم وما أجل خذلانهم[١].. وهناك أقوال أخرى قيلت في معنى العصر أكتفي بما ذكرت مخافة الإطالة.

والذي يظهر – والله تعالى أعلم –: أن أقرب هذه الأقوال كلها – مع وجاهتها وأهميتها – قولان:

الأول: إما العموم بمعنى الدهر، وتسمية الدهر عصراً أمر معروف في لغتهم قال :

ولن يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وكان هو الراجح للقراءة الشاذة، (والعصر ونوائب الدهر) إذ أقل درجاتها التفسير، كما أن الدهر مشتمل على الأعاجيب؛ لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، بل فيه ما هو أعجب من كل عجب[٢]؛ ولأنه يشمل بعمومه بقية الأقوال[٣].

الثاني: وإما عصر الإنسان، أي عمره ومدة حياته الذي هو محل الكسب والخسران؛ لإشعار السياق، ولأنه يخص العبد في نفسه موعظة وانتفاعاً. ويرجح هذا المعنى ما يكتنف هذا السورة من سورة التكاثر قبلها، والهمزة بعدها، إذ الأولى: تذم هذا التلهي والتكاثر بالمال والولد حتى زيارة القبور

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٣٢ ص ٨٢.
(٢) المرجع السابق ج ٣٢، ص ٨٠.
(٣) ابن القيم، **التبيان في أقسام القران** ج١ ص ٥٣ وانظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج ٩ ص٨٨.

بالموت، ومحل ذلك هو حياة الإنسان، وسورة الهمزة في المعنى نفسه، في الذي جمع مالا وعدده، [يحسب أن ماله أخلده]، فجمع المال وتعداده في حياة الإنسان وحياته محدودة، وليس مخلداً في الدنيا، كما أن الإيمان وعمل الصالحات مرتبط بحياة الإنسان، وعليه، فإما أن يكون المراد بالعصر في هذه السورة العموم؛ لشموله الجميع؛ وللقراءة الشاذة، وهذا أقواها، وإما حياة الإنسان؛ لأنه ألزم له في عمله، وتكون كل الإطلاقات الأخرى من إطلاق الكل وإرادة البعض(١). والله تعالى أعلم.

الإنسان وحقيقة خسرانه
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ (العصر: ٢)

الإنسان مخلوق مكرم عند الله تعالى، فضله على كثير من مخلوقاته، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) بما خصه بكثير من المزايا التي استحق بها أن تكون له الخلافة في الأرض، وأن يسلم مقاليد الكون الواسع في الحدود التي قدرها الله تعالى له، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

فالله تعالى حين أراد خلق آدم أخبر الملائكة أنه خليفته في أرضه، لبيان فضله(٢)، وذلك (لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه)(٣). ومن فضل الله عليه: أنه أسجد له الملائكة ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩)، وكان ذلك إظهاراً لفضل الإنسان(٤). وليس من شك أن في هذا

---

(١) انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٩ / ٨٨، ٨٩

(٢) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الرياض ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، ج ١ ص ٤٨.

(٣) انظر: الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٠ هـ، لباب التأويل في **معالم التنزيل** – طبعة مصطفى محمد – المكتبة التجارية الكبرى – مصر ج١ ص٦٠

(٤) انظر: أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥هـ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، ج١/٢٩٢ (بتصرف).

دليلا على مكانته، وسمو رفعته التي بوأه الله تعالى إياها، وأعده لها إعداداً ينهض بإقامة الحجة البالغة عليه دون تباطؤ، ولا سيما إذا علمنا انه جل جلاله قد أودع في عقله وقلبه أنه ذو رسالة قد التزم بحملها، وعليه تنفيذها؛ لتفسير حقيقة استخلافه على وجه الأرض، وتمييزه بخلال لم تتحقق في غيره من المخلوقات، ومما يدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، وكونها قد وصفت أمانة فيتعين أن تؤدى مع الحرص الأكيد على هذا الأداء، وعلى الوجه الأكمل الذي أودعت فيه دون نقص. ولا يتم هذا إلا في ظل العبودية لله تعالى، امتثالا لأمره، ولهذا كان خاسراً لنفسه، ظالماً لها حين اهبط نفسه عن تلك المنزلة التي رفعه الله تعالى إليها، جهولاً بحقائق تكوينه، وعظم قدره التي فطره الله عليها.

والحق أن المسلمين لم يحققوا التقدم المنشود في الإسلام، لأنهم في القرون الأخيرة قد غلبت عليهم منازع الشهوة واللذة التي ساقتهم إلى الاستغراق في المنافع والركون إلى الدنيا، وحب الاستعلاء في الأرض ظلماً وعتواً وتحكم الهوى بكل أشكاله، فهم لم يقوموا (بعمارة الأرض) كما أمرهم الله تعالى، ولم يرعوا سنن الله تعالى في خلقه، فحكمت عليهم هذه السنن أن يسودهم غيرهم، كما أنهم لم يقوموا بحق الخلافة كما ينبغي، فسحبت القيادة من أيديهم، وسادهم من كانوا له سادة. وهذا في الواقع أبشع صنوف الخسران في الأرض، كما جاء ذلك صريحا في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

والمراد بالإنسان هنا: جميع الناس، وإن جاء مفرداً، لان [أل] فيه للجنس، فيفيد العموم، فيشمل المسلم والكافر، وهذا هو الأرجح، بدليل الاستثناء منه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: ٥-٦)[١].

---

(١) الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج ٩، ص ٦.

ومعنى (خسر): يقال: خسر خسراً وخسراناً وخسارة، فهو خاسر وخسر كله: ضل، والخسار والخسارة والخيسرى: الضلال والهلاك، والياء فيه زائدة. وفي التنزيل العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (الزمر: ١٥).

يقول: أهلكوهما، قال الفراء: غبنوهما. وقال ابن الأعرابي: الخاسر الذي ذهب ماله وعقله، أي خسرهما. وخسر التاجر: وضع في تجارته أو غبن[(١)]، وغير ذلك من المعاني اللغوية التي وردت في معاجم اللغة وكتب التفسير، فقد قيل الخسر النقصان، والاضمحلال، وذهاب رأس المال، وغير ذلك[(٢)]، والكل متقارب، فهي كلها من مظاهر الخسر التي يترتب عليها عواقب وخيمة.

ومما يلفت النظر في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾: ما ورد فيها من الأسرار البيانية، أن الله تعالى قرن بهذه الآية قرائن تدل على مبالغته تعالى في بيان كون الإنسان في خسر، وأنه أحاط به من كل جانب. كلمة (إن) بالتشديد، فإنها للتأكيد. وورود حرف اللام في (لفي خسر) الظرفية، وذلك للتأكيد بأن الإنسان مستغرق في خسران عظيم، فهو مغمور به، محيط به من كل جهة[(٣)].

ومن الأسرار البيانية: مجيء لفظ (خُسْرٍ) منكراً معمماً منوناً، ولم يقل (لفي الخسر)؛ لان التنكير يفيد التهويل تارة، والتحقير أخرى، فإن حملناه على الأول كان المعنى: إن الإنسان لفي خسر عظيم، لا يعلم كنهه إلا الله تعالى، وتقريره أن الذنب يعظم بعظم من في حقه الذنب، أو لأنه وقع في مقابلة النعم العظيمة، وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه، فلا جرم أن كان ذلك الذنب في غاية العظم، وإن حملناه على الثاني كان المعنى أن خسران الإنسان دون خسران الشيطان، والتأويل الصحيح: الأول)[(٤)].

---

(١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤/ص ٢٣٩

(٢) انظر: البغوي، **لباب التأويل**، ٥/ ٦٢٠، والشوكاني، **فتح القدير**، ج٥/ص ٤٩١.

(٣) انظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٣٢، ص ٨٣.

(٤) انظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٣٢ ص ٨٣

وأما تعميم الله تعالى الخسار: فلأنه قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض.

ومن هنا كان العموم في الخسران لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله تعالى بالإيمان به، والعمل الصالح وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله تعالى وحقوق عباده الواجبة والمستحبة، والتواصي بالحق الذي هو الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالصبر على طاعة الله تعالى[١].

فالنجاة عامة لكل من أتصف بعنوان الصلة، وهي مجموع هذه الأمور كلها. (ولو نظرنا إلى أمرين وهما: المستثنى والسورة التي قبلها لا تضّح هذا العموم؛ لأن مفهوم المستثنى يشمل أربعة أمور: عدم الإيمان، وهو: الكفر، وعدم العمل الصالح، وهو: العمل الفاسد، وعدم التواصي بالحق، وهو: انعدام التواصي كلية، أو التواصي بالباطل، وعدم التواصي بالصبر، وهو: إما انعدام التواصي كلية أو الهلع والجزع.

والسورة التي قبلها تلهي الإنسان بالتكاثر في المال والولد، بغية الغنى والتكثر فيه، وضده ضياع المال والولد وهو الخسران)[٢]. وكل ذلك جاء في القرآن ما يدل عليه. نجمله في الآتي:

أما الخسران بالكفر. فكما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (الأنعام: ٣١)، أي لأنهم لم يعملوا لهذا اللقاء، وقصروا أمرهم في الحياة الدنيا فضيعوا أنفسهم، وحظهم في الآخرة. وأما الخسران بترك العمل، فكما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٩)، لأن الموازين هي معايير الأعمال ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧).

---

(١) انظر: السعدي، **تيسير الكريم**، ج١، ص٩٣٤.

(٢) انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان** ٩، ٨٩.

وأما الخسران بترك التواصي بالحق فليس بعد الحق إلا الضلال، والحق هو الإسلام بكامله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

وأما الخسران بترك التواصي بالصبر والوقوع في الهلع والفزع، فكما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١).

والحقيقة أن هناك ملاءمة بين المقسم به وهو (والعصر) المعاصر للإنسان: طيلة حياته، وهو محل عمله، الذي به يخسر ويربح. وهو معاصر له وأصدق شاهد عليه، لذا كان حجة عليه، والمقسم عليه: وهو حالة الإنسان (إنَّ الإنسَانَ لَفِى خُسْرٍ)، إلَّا من استثنى الله تعالى، فكان القسم به على الربح والخسران أنسب ما يكون بينهما. إذ أن رأس مال الإنسان في حياته هو عمره. كلف بإعماله في فترة وجوده في الدنيا، فهي له كالسوق. فإن أعمله في خير ربح، وإن أعمله في شر خسر. ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعا: **(الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله، والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها)**[(١)]، فقوله: **(كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)** مما يؤكد أن رأس مال

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة – باب فضل الوضوء، ١/٢٠٣، رقم ٢٢٣.

الإنسان: عمره. ولأهمية هذا العمر جاء قسيم الرسالة والنذارة في قوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٧). وعلى هذا قالوا: إن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى، وهدى كل إنسان النجدين، وجعل لكل إنسان منزلة في الجنة ومنزلة في النار. فمن آمن وعمل صالحاً كان مآله إلى منزلة الجنة، وسلم من منزلة النار، ومن كفر كان مآله إلى منزلة النار، وترك منزلته في الجنة.[١]، فظهر الربط والمناسبة مع المقسم به، والمقسم عليه.

(١) انظر: الشنقيطي ، **أضواء البيان**، ٩، ٩٠، ٩١.

المبحث الثالث

مقومات بناء الإنسان

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾
(العصر: ٣)

تبين لنا آنفا أن الإنسان: (ذو رسالة قد حملها، وعليه أداؤها، لتفسير حقيقة استخلافه في الأرض معنىً وقصداً)[١]، فبحكم هذه الطبيعة الخاصة للإنسان، تعتبر قضية بنائه بكل ما يجب أن يحمل من عقل مستنير وخلق كريم، من القضايا الضرورية التي لا يجوز التهاون فيها[٢].

ولتحقيق هذا الهدف الكبير لا بد أن يكون وفق اتباع منهج علمي منضبط.

والحقيقة أنه ليس المقصود بالمنهج جملة القواعد والنظم المعرفية والمسائل النظرية البحتة، بل لا بد من تحويله إلى قدرة، تفجر في أعماق الإنسان قوى الإبداع والاجتهاد فيصبح بذلك الوعي متفاعلاً مع الواقع والحياة بصورة حيوية. وهذا ما قرره العلماء[٣].

هذا المنهج المنضبط هو منهج القرآن، فهو الذي تكفل ببناء الإنسان بناء متوازناً صحيحاً تتجدد فيه علاقاته مع ربه ومع نفسه وأهله، ومع الناس، ومع سائر المخلوقات، كما جعل فيه القدرة على التفاعل الصحيح المنظم مع الوحي والكون، وبدون ذلك لن يكون العمل المراد أكثر من فوضى لا يضبطه نظام. وهذا هو الواقع، فرسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو يتعامل مع أهل

---

(١) فتحي الدريني، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم** الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة/ ١٩٨٢م، بيروت: ، ص ٩١.

(٢) باعتبار الإنسان عنصراً مهماً وفاعلاً لكل حضارة. انظر: مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ص ١٧٤.

(٣) انظر: مالك بن نبي ت ١٣٩٣ هـ، **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠م ص٣٦

الجاهلية وأخلاقهم التي كانوا يعيشونها – قد استند على منهج أصيل، وضعه رب العالمين، ووضع لنفسه خطة ومنهاجا محدد الأهداف والوسائل، كانت كافية في استئصال ما هو باطل وإزالته، وقد شهد القرآن الكريم للرسول بهذا المنهج الإلهي العملي الذي التزمه، وحرص على ترسم معالمه، وهو ما انعكس على أصحابه فكانوا نماذج بشرية واقعية تجسد المثل العليا.

فإذا كان القرآن الكريم هو الذي انفرد ببناء الإنسان بناء صحيحاً بما رسمه له من منهج دقيق، فإننا – نحن المسلمين – نرفض الدعوات المارقة التي تدعو إلى استيراد مناهج فكرية، أو أنظمة تربوية؛ لأن لكل مجتمع عقائده وتصوراته الفكرية ونحوهما؛ (لان التربية والتعليم كالكائن الحي عملية ديناميكية تنمو في المجتمع المعين، من أجل خدمة ثقافة المجتمع وحضارة المجتمع وأبناء المجتمع، للعيش في مجتمعهم، وتطويره التطور المتدرج المعقول وفق حالته وفلسفته في الحياة)(١) ونلتزم بالمنهج العظيم الذي رسمه لنا المولى جلت قدرته في القران الكريم والذي يقوم على منطلقات عدة(٢).

ومن أبرز هذه المنطلقات المنبثقة عن هذا المنهج الرباني: ما ورد في سورة العصر: من الإيمان بالله تعالى، وعمل الصَّالِحَاتِ، والتواصي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصَي بِالصَّبْرِ. وها هي نبذة عن كل منطلق من هذه المنطلقات.

المطلب الأول
الإيمان بالله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

من القضايا الأساسية المتعلقة ببناء الإنسان: الإيمان بالله تعالى قولاً وفعلاً واعتقاداً، فهو يعتبر ضرورياً، وخياراً استراتيجياً لتحقيق الغرض المنشود من التغيير في الشخصية والسلوك. ذلك أنه من العسير إحداث مثل

---

(١) الدكتور اسحق أحمد فرحان / **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة** / ص١٤.

(٢) انظر: أبا الحسن الندوي، **نحو التربية الإسلامية الحرة**، بيروت / دار المعرفة / ص ٢٦، ٢٩.

هذا التغيير دون نظام تربوي أصيل وواقعي (تصدق به النفوس وتطمئن إليه القلوب، ويكون يقيناً عند أصحابه، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك[١]، ويكون قادراً على التوجيه التربوي الإيماني، والإرشاد القائم على أفكار صحيحة، وعلى أساس من فضائل القيم وعالي المثل، لتحقيق ما ترمي إليه في الواقع. ولا يتحقق ذلك إلا في عقيدة الإسلام التي لا تقوم إلا على الإيمان بالله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. فما معنى الإيمان؟ وما نوع الاستثناء هنا؟. وما أهمية الإيمان في بناء الإنسان؟

معنى الإيمان: ورد في لسان العرب: واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أن الإيمان معناه: التصديق، وفي التنزيل العزيز :﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ﴾ (يوسف: ١٧) أي بمصدق[٢].

والمراد به: إظهار الخضوع والقبول للشريعة، ولما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاده، وتصديقه بالقلب[٣]، فمن كان على هذه الصفة من إذعان النفس على سبيل التصديق بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه **(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي. فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر)**[٤]. فالإيمان لا يكون إيمانا إلا بتحقيق هذه الأركان، ولا يتم إلا باجتماعها.

والاستثناء هنا متصل[٥]، فيفيد أن كل الناس في خسران عظيم ل\ا يقدر

---

(١) انظر حسن البنا ت ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، **مجموع الرسائل**، ص٤٢٩.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب** ج١٣، ص٢٣ وانظر: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ت ٨١٧هـ القاموس المحيط، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ، ج١ ص ٥١٨.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ٢٣.

(٤) البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة) برقم ٤٧٧٧، وانظر مسلم، كتاب الإيمان / باب الإيمان والإسلام والإحسان برقم (٩).

(٥) ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، فيكون المستثنى ليس من ضمن المستثنى منه. والمراد بالإنسان: الكافر، فيكون المستثنى ليس من ضمن المستثنى منه.

قدره إلا أهل الإيمان، والعمل الصالح، فإنهم في تجارة لن تبور، حيث باعوا الفاني الخسيس، واشتروا الباقي النفيس، فيا لها من صفقة ما أربحها[١]!

ولسائل أن يسال، فيقول: إن الله تعالى في جانب الربح – الذي نحن بصدد الحديث عنه – ذكر السبب، وهو: الإيمان والعمل الصالح .. وفي جانب الخسر ذكر الحكم ولم يذكر السبب، فما الفرق؟ وقد أجاب الفخر الرازي على هذا السؤال بالقول: إنه لم يذكر سبب الخسر؛ لأن الخسر كما يحصل بالفعل وهو الإقدام على المعصية يحصل بالترك، وهو عدم الإقدام على الطاعة، أما الربح فلا يحصل إلا بالفعل، فلهذا ذكر سبب الربح وهو العمل، وفيه وجه آخر، وهو أنه تعالى في جانب الخسر أبهم ولم يفصل، وفي جانب الربح فصل وبين، وهذا هو اللائق بالكرم[٢]

وتأمل حكمة القرآن الكريم لما قال: (إن الإنسان لفي خسر) فإنه ضيق الاستثناء وخصصه فقال: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...) ولما قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ (التين: ٥) وسع الاستثناء وعممه فقال ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (التين: ٦) ولم يقل: وتواصوا؛ فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح، وهو قدر زائد على مجرد فعله، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح، فصار في **خسر**[٣].

أما أهمية الإيمان: فهو ضرورة حيوية ضرورة الطعام والشراب والهواء في بناء الإنسان، الذي يحمل الأمانة، وبدونه يبقى تائهاً يفقد وجوده وذاته: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢)، وليس من شك أن (المتعسف الذي يمشي هكذا وهكذا على الجهالة والحيرة لا يكون كمن يمشي إلى جهة معلومة مع العلم واليقين)[٤].

(١) أنظر أبو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٩، ص١٩٧.
(٢) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٣٢ ص ٨٤،
(٣) ابن القيم، **التبيان في اقسام القران** ج١ص ٥٣.
(٤) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٠ ص ٦٤.

ومن هنا ندرك الحكمة من نزول القرآن الكريم مفرقاً على حسب الوقائع والحوادث ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦)، ومما يدخل في هذه الحكمة: تدرج القران الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة، وفي تثبيت العقائد الصحيحة، وما كان كذلك إلا لبيان ما اتصف به القران الكريم من القدرة على التأثير البالغ في النفس البشرية، وتوجيه غرائزها الوجهة الإنسانية الفاضلة لما فيه خير الإنسان نفسه(١).

أجل إن الاعتماد على الإيمان أمر في غاية الأهمية، فهو ينمي في ذات الإنسان كل معاني المبادئ السامية، والقيم العليا الرفيعة، ويركز على تكوينه التام الذي يحتوي على عناصر مهمة، وهي كثيرة جداً، من الصعب علينا استقصاؤها في هذا البحث، فالمقام – هنا – يقتضي الإيجاز، فمن تلك القيم:

توحيد الله تعالى: فجوهر الإيمان هو التوحيد، ومن هنا نلمس لماذا كانت أول وصية وصى بها لقمان عليه السلام ابنه: النهي عن الشرك ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، إنه لا أفظع ولا أبشع ممن **سوَّى** المخلوق الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمالك الأمر كله. فهل أعظم من هذا الظلم شيء ؟! وهل أعظم ظلماً، ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب ؟ جعلها عابدة لمن لا يسوِّى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبيراً(٢).

إن الإيمان بالله تعالى وحده وإخلاص العبادة له، أمر في غاية الأهمية يتجلى في وصل ما بين الإنسان وربه بحبه وقربه، وملء ما بين جنبيه؛ ثقة به، واعتماداً عليه، ويقيناً بكل ما جاء من عنده. كما يتجلى في مد عمر هذا الوجود إلى ما بعد هذه الحياة الفانية، فليست قصة البشرية مجرد أرحام تدفع، وارض

(١) انظر الدكتور محمد محمد أبو شهبة ، **المدخل لدراسة القران الكريم**، دار اللواء / / الرياض / ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م، ط٣، ص٧٤.
(٢) انظر: السعدي، **تيسير الكريم**، ج١ / ٦٤٨.

تبلع، بل الأمر أنهم خلقوا في الدنيا الفانية للابتلاء والاختبار، ثم ينقلون منها إلى الآخرة للثواب والعقاب.

وهذه المعاني وغيرها إنما ينشئها ويحييها تنبيه الإنسان إلى سر وجوده، وحقيقة إنسانيته، والوعي برسالته في الحياة، وكلها من ثمرات الإيمان(١).

وإذا كان الإيمان بالله يعتبر أن أساس التربية يتركز في عقد الصلة الدائمة بين الخالق والمخلوق، فهذا يقتضي الإيمان بوجود الروح التي هي من أمر الله تعالى، فقد حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، ولن نقدر على احتمال المكاره في طريق الجنة، ولا نقاوم الشهوات المفضية إلى النار، إلا بقوة روحية داخلية، تستحب المكاره، وتستعذب العذاب في سبيل الله تعالى، كما تركل كل ما فيه سخط الله تعالى. ولذا كان الاعتناء من القرآن الكريم بهذا الجانب، واعتبار النمو الروحي للفرد حاجة أصيلة في أي إنسان، لأنها تعلم الإنسان الالتزام ببعض المسؤوليات نحو ربه والناس، وتحتم عليه إبراز الولاء لله تعالى في صورة عملية من العبادات والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، كما تلزمه بحسن السلوك في تعامله مع الآخرين بوضع معايير من المثل والقيم العليا التي لا بد أن تخضع سلوكه لها. رحمه الله:

والذي يمعن النظر في أحوال الأمم التي تتبنى الحضارات المادية مبعدين الروح من حياتهم يجد أنهم يعانون حياة ملؤها الضيق والضنك والجحيم من حيث القلق والتوتر ونحوها. وكما يقول سيد قطب (والإسلام يعني عناية خاصة بالروح، إنها في نظره مركز الكيان البشري، ونقطة ارتكازه، إنها القاعدة التي يستند إليها الكيان كله، ويترابط عن طريقها، إنها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان كلها؛ بأنها الموجه إلى النور، يكفي أنها صلة الإنسان بالله تعالى، فالحق أن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته وأعظمها، وأشدها اتصالا بحقائق الوجود، أما طاقة الجسم فمحدودة بكيانه المادي وبما تدركه الحواس)(٢).

---

(١) انظر يوسف القرضاوي، **الإسلام حضارة الغد**، مكتبة وهبة، القاهرة، ص١٦١، ١٦٠ (بتصرف).

(٢) الأستاذ/ سيد قطب، **منهج التربية الإسلامية** / ص٤٥.

وإذ نقرر أهمية الإيمان بالجانب الروحي في الإنسان، نؤكد مع هذا الإيمان الأخذ به منهجاً وأسلوباً للوصول إلى حقيقة هذا الوجود والى خالقه وهذه هي أعظم الحقائق على الإطلاق، فالإنسان إذا صفت روحه وتجردت تولدت بداخله طاقة روحية قوية استطاع أن يدرك ما لا يمكن إدراكه عن طريق المناهج الأخرى، سواء منها المنهج العقلي أو التجريبي أو التاريخي(١).

وعلى ضوء ما تقدم فانه يتعين علينا الاعتناء بالتربية الروحية اعتناء كبيراً، فان فيها علاجاً لما تعانيه البشرية من تيه وضلال وتخبط، وما كان كذلك إلا بسبب أنها أدارت ظهرها للدين وأهملت جانب الروح، وكم من أشياء يخطف بريقها أبصار الناس فيلهثون وراءها؛ لظنهم أن فيها السعادة المنشودة، فإذا هي سراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، بل يجد الأمراض المستعصية الفتاكة التي لم تعرفها المجتمعات التقية الطاهرة المتمسكة بكتاب ربها.

والحقيقة أن هذه التربية الروحية التي تولد في الإنسان قوة ينتج عنها عزيمة قوية تمكن صاحبها من التغلب على كل المصاعب والعقبات التي تحول بينه وبين التزامه السوي المستقيم، وهذه التربية إنما يصنعها الإيمان بالله، إذ هو الذي يحفزنا إلى أداء المهمة التي خلقنا لها، وهي عبادة الله تعالى، ويحبب إلينا هذه العبادة حتى تغدو لنا قرة عين. وهو الذي يأخذ بيد المرء ليتقرب إلى الله تعالى بأداء فرائضه الواجبة عليه، ويزداد تقرباً إليه بالنوافل، حتى يربح حبه سبحانه وتعالى له.

والإيمان هو الذي يمنح الإنسان الطمأنينة وسكينة النفس التي هي روح السعادة في الآخرة، وسعادة الدنيا التي يحرص كل الناس عليها: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

ومن القيم المنبثقة عن الإيمان بالله تعالى التي تعتبر عاملاً مهما في بناء الإنسان المؤمن: مكارم الأخلاق، فهي تستند في وجودها ونشأتها عليه في الدرجة الأولى.

---

(١) انظر: محمود السيد محمد سلطان، **النظرية التربوية في الإسلام**، ص٣.

والحق: أن هذه القيمة العالية تعتبر حلقة وصل بين الدين وبين السلوك، باعتباره مظهراً من مظاهره، حتى كان الخلق من مقومات الإيمان، ومما يدل على ذلك: حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وقد سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالتْ: ... فَإِنّ خُلُقَ نَبِيّ اللّهِ ﷺ الْقُرْآنَ): روى الإمام مسلم في صحيحه من حديثْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ: أنه سأل أمَّ المؤمنين عائشة، قال لها: يَا أُمّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَتْ: أَلَيْسَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قَالَ: قُلْتُ بَلَى، قَالَتْ (فَإِنّ خُلُقَ نَبِيّ اللّهِ ﷺ كان الْقُرْآنَ[١] أي: معتقداً، ومبادئ وتعاليم. فمكارم الأخلاق والإيمان بالله تعالى لا ينفكان عن بعض، فهما متلازمان، ومن هنا نجد التذكير بالعامل الإيماني يسبق الدعوة للقيمة الخلقية المنشودة. قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

أجل، إن بناء الأخلاق على أساس عقدي قوامه الإيمان بالله يشكل ضمانة لثبات الأخلاق واستقرارها وعدم العبث بها.

والعقيدة عندما تكون بهذا المستوى بما تمثل من الشموخ الأخلاقي والإنساني والمثل الأعلى الروحي، تنهض بالمجتمع، وتجعله أنموذجاً يحتذى به، وهذا ما نلمسه واقعاً مشاهداً عندما جاءت العقيدة الإسلامية بما احتوته من تربية رشيدة، فنقلت المجتمع الجاهلي من الوضع البدائي الجاهلي إلى الوضع الإنساني السليم، كما تكون صمام الأمان الذي يحافظ على هذا الكون ويصونه ومن فيه من الدمار المحقق، لا سيما في عصرنا هذا الذي بلغ غاية كبيرة في العلم التجريبي، وشأواً بعيداً في الاختراع لوسائل التدمير من نووية وذرية ونحوهما، وليس ببعيد عنا ما جرى في الحرب العالمية الأولى والثانية، وإفناء مدن بكاملها في اليابان، وما حدث أخيراً في لبنان وغيرها من بلدان الأرض، واستعمال أشد الوسائل الحربية فتكاً.

---

(١) صحيح **مسلم** في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة اللّيل، برقم ٧٤٦.

أما ما حدث ويحدث في فلسطين على أيدي اليهود فالحديث عنه يدمي القلوب قبل إبكاء العيون.

إن أي محاولة للفصل بين القيم الخلقية والإيمان بالله، إن هي إلا محاولة لإجهاضهما ووأدهما معاً، وهذه قضية خطيرة تعاني منها المجتمعات الغربية على وجه الخصوص، ومن الجميل: أن نذكر هنا أنه عقد في انجلترا عام ١٩٧٧م مؤتمر للتحقيق الدولي في التربية الأدبية، أشترك فيه أكثر من سبعمائة من مشاهير العلماء والفلاسفة ورجال الأدب والسياسة، وقد أجمعوا على أنه لا يمكن الإحاطة بمواضيع التربية الأخلاقية دون الرجوع إلى الوازع الديني)[١].

ومن هنا ندرك سبب ابتلاء الحضارات قديمها وحديثها، فهو يرجع إلى قيمها الأخلاقية التي تسودها وتحتكم إليها، وليس كامناً في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلمية، فالسعادة ليست بوفرة الإيراد، ولا بقوة الحصون، ولا بجمال البناء، وإنما تكون بعدد المهذبين من الأبناء، وبعدد الرجال ذوي التربية والأخلاق فيها[٢].

وهكذا تبين لنا بما لا مجال للشك فيه أن الإيمان بالله تعالى بإيجابياته تلك لم (يجعل القيم الإسلامية تعيش في فراغ، أو في عالم ذهني وشعوري متجرد ومنفصل عن الإنسان وسلوكه، بل جعل إنسانه الحق يندمج في هذه القيم، فهماً وشعوراً، وينفعل بها اقتناعاً وسلوكاً بحيث يعتبر مظهراً له، ودليلاً عليه وتحقيقاً لمضمونه، فكان المسلم الحق في واقع الأمر مجموعة من القيم والمثل الحية المتجسدة المتحركة الفعالة، وإن كنا نرى مظاهر من الانحراف عن محجة الإسلام النقية – ولا سيما من قبل بعض المسلمين أنفسهم – فمرد ذلك فيما نعتقد قصور الهمة أو عدم تأصيلها معاني الإيمان في نفوسهم، بحيث غدا رسماً مخيلاً فيه، وبذلك يبخس هؤلاء أنفسهم حقها في التسامي والارتقاء إلى مستوى المثل الرفيعة اعتقاداً وعملاً)[٣].

---

(١) انظر مقداد بالحن، **التربية الأخلاقية الإسلامية**، ص ٢٨١.

(٢) المرجع السابق نفسه

(٣) انظر: فتحي الدر يني، **دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر**، دار قتيبة، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م، ط١، ج٢ / ٨٥٣.

أجل، إن الإيمان الذي ننشده ونسعى إليه، هو وحده الذي تنبت في تربته الأخلاق، وتنمو في ربوعه أزهار الفضائل المثلى، والقيم العليا، وهذا ما أثبته الواقع. إن الأمم بدون أخلاق كبنيان بلا أساس، فهو مهما علا حتمي الانهيار. ورحم الله أحمد شوقي حيث قال:

وإنما الأمم الأخلاقُ ما بقيت فإن همُ ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

وهو القائل أيضاً:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً:

وهذا ما صرح به أحد قضاة بريطانيا – تعليقاً على الحكم في إحدى القضايا الكبيرة المثيرة –: (بدون قانون لا يستقر مجتمع، وبدون أخلاق لا يسود قانون، وبدون إيمان لا تسود أخلاق)[(١)]؛ لذا نجد القرآن الكريم قد حرص على تحقيق الأخلاق في بناء الإنسان؛ لأنه إذا تربى عليها، يحيا حياة طيبة مطمئنة هادئة مليئة بالرحمة والحب والحنان والتقدير من جميع الكائنات، ويترفع عن الملذات إلا ما أحله الله تعالى منها، كما يسمو عن الماديات بما تمد جانب الخير في الإنسان من معين المبادئ والقيم الإنسانية التي تزكي بواعثه النفسية وتطهرها. فلنحرص على غرس الأخلاق فتلك ثمرة من ثمار الإيمان بالله، فهي أساس الفلاح والنجاح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (الأعلى: ١٤)، فلاحا يعم المجتمعات كلها، وهي جديرة أن تثير في نفوس الطامحين للتغيير نحو الأفضل اهتماماً خاصاً، فالتغيير المنشود إنما يبدأ من ساحة الأخلاق، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: ١١).

ومن القيم المهمة في بناء الإنسان وتربيته: العلم. فإذا كانت الأخلاق ثمرة من ثمار الإيمان، وأهم ما ينبغي أن يربى عليه الإنسان، كما تبين لنا ذلك آنفاً،

---

(١) انظر يوسف القرضاوي، **الإسلام حضارة الغد**، ص ١٦٤.

فان العلم النافع رديف للإيمان وخادمه، وهو بهذا الاعتبار يشكل كذلك أساساً من أسس بناء الإنسان، إذ لا يمكن أن يهيئ العلم مناخاً يتيح للعابثين فرص التحرر من الالتزام الأخلاقي، إذا ارتبط بالمقصد الأسنى للتربية وهو الإيمان بالله تعالى والخشية منه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨)، (فالعلم رأس الخشية وسببها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خشية الله رأس كل حكمة)[١] وكما ورد في الأثر رأس الحكمة مخافة الله[٢] هذا هو الكلام المنير)[٣]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم – وقد ذكر له رجلان أحدهما عابد، والآخر عالم – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)[٤] وفي رواية ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضيه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير[٥].

---

(١) روى هذا الأثر ابن أبي الدنيا في كتاب (الورع) رقم (١١)، والقضاعي في مسند الشهاب برقم (٤١)، وأبو نعيم الأصفهاني في كتاب الحلية، ٢/٣٨٦ كلهم عن القاسم بن هاشم بن سعيد السمسار أبي بكر، قال: حدثتنا سعيدة ابنة حكامة، قالت: حدثتني أمي حكامة بنت عثمان بن دينار عن أبيها، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك. وإسناده ضعيف. فيه سعيدة تروي عن أبيها البواطيل. ورواه أحمد رقم ٧٠٤، وأبو يعلى الموصلي برقم ٣٦٧ مختصراً بإسناد آخر، وفيه الحارث الاعور، ضعيف، ثم هو منقطع.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٧٤٤ مرفوعاً، ورواه البيهقي – كذلك – موقوفاً على ابن مسعود رقم ٧٦٢، وإسناده ضعيف.

(٣) ابن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، ج٤ / ٤٣٧.

(٤) **سنن الترمذي** / كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٥) وإسناده صحيح.

(٥) سنن الدارمي/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط١/ ١، ١٤٠٧/ ١٠٠.

ومن هنا نرى: أن للعلم مكانة في الإسلام لا تضاهى، ولم يبلغها أي تشريع، وقد دلت على ذلك بعض النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، نذكر بعضاً منها: قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ٩) وقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق: ١). وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (سورة الرحمن: الآيتان ١، ٢).

ومن الأحاديث النبوية الدالة على فضل العلم: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[١] وقوله: «وإنما العلم بالتعلم»[٢].

والحق، أنه ما كان هذا الاهتمام بالعلم إلا لأن فيه معرفة الله تعالى وما له من حقوق وواجبات، كما أنه وسيلة هداية، وطريق خير للبشرية جميعاً، ومن هذا المنطلق فرض الإسلام العلم على كل مسلم ومسلمة (عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة

---

(١) البخاري في كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين برقم (٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة برقم ١٠٣٧

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) ١٩/ ٣٩٥، والخطيب في الفقيه والمتفقه١، /٥ من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً، وسنده منقطع، وأخرجه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم) (٩٠٣) و (٦١٧) من حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه موقوفاً، وقال الإمام الدارقطني في (العلل) ٦/ ٦١٧: الموقوف هو المحفوظ.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقا يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر).
سنن الترمذي / كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم: (٢٦٨٢)، وابو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، برقم (٣٦٤١).

على كل مسلم)[1] ودعا إلى الاستزادة منه، حتى إنه جعله معياراً للتفاضل بين الناس كالتقوى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤) وبهذا حقق الإسلام أعظم مقوم حضاري يدفع إلى التقدم الرشيد في حضارة إنسانية على أبعد مدى.

والإسلام إذ يحث على طلب العلم فهو لا يقصره على العلوم الشرعية، بل يتسع ليشمل كل علم نافع من العلوم الأخرى، إذا اقترن ذلك كله بالنية الطيبة الخالصة لله تعالى، وابتغاء مرضاته، وبهذا الاعتبار يكون جزءاً من العبادة ما دامت في هذا الإطار الإلهي.

المطلب الثاني
﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

تبين لنا فيما سبق إن بناء الإنسان على الإيمان بالله تعالى وتأسيسه على ما اتصف به من خصائص وقيم لم تتحقق في غيره، يؤدي إلى سلوكه المنهج القويم الذي يحقق الظفر بالمطلوب.

وأن التنكب عن هذا الطريق معناه الخسران المبين. قال الله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر: الآيات ١-٣). والواقع أن القيم والمبادئ الإيمانية، تحمل منطلقات عدة، جعلت لها قيمة عالية في التغيير، من أهمها أنها: سلوكية عملية، نلمس ذلك من عطف قوله: (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) على قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)، فهو من عطف الخاص على العام للدلالة على أهمية العمل من جانب، والجانب الآخر لان العمل من مفهوم الإيمان، فهما توأمان؛ ذلك أن السلوك العملي دوافعه قوى إيمانية روحية – في الدرجة

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم (٢٢٤) وأبو يعلى في مسنده ٥/٢٢٣ رقم ٢٨٣٧. وقد روى هذا الحديث عن علي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهم، قال الحافظ جمال الدين المزي: إن طرقه تبلغ به رتبة الحسن، نقله عنه صاحب (كشف الخفاء) ٢/ ٦٥٤. وهو حديث حسن بالشواهد.

الأولى – صادرة عن أحقيتها المأخوذة من الكتاب والسنة؛ وبذلك حالت دون الانفكاك بين مدلولها النظري المجرد، وبين السلوك الحيوي في الواقع المدرك؛ كيلا يصبح مجرد أفكار، أو مفاهيم ذهنية، لا صلة لها بالحياة الإنسانية العاملة. ولأهمية التربية العملية الصالحة تكاد لا تجد نصاً في كتاب الله تعالى يذكر الإيمان إلا ويقرنه بالعمل الصالح منها: الآية التي معنا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا....﴾ (البقرة: ٢٥)، وقال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨٢)، وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٧)، وغيرها كثير من الآيات القرآنية.

وإذا كان الأمر كذلك فإن المؤمن لا رجاء له في شيء من نعم الدنيا والآخرة إلا أن يقرن إيمانه بالعمل الصالح الذي هو أساس عمارة الدنيا والحضارة الإنسانية، تأمل معي ما يوحي به التذييل في (فسوف يعلمون) في قوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر: ٣)، فإن التذييل بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، يدل على (سوء صنيعهم، والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ، ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك، فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم، ولا يشتغل بما لا طائل تحته، وأن يبالغ في تخليتهم، حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة. وفيه: إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار)[1] وفي ذلك: (وعيد أيما وعيد، وتهديد غب تهديد)[2]؛ حفزاً للطاقات والهمم إلى العمل الجاد بإثارة المشاعر الإنسانية؛ لتتضافر على بعث الإرادة الخلقية الخيرة التي تتجه إلى الصواب، وسواء السبيل، ومن هنا نرى أن الله تعالى حكم على الذي لا يعمل صالحاً ولا

---

(١) الزمخشري، **الكشاف** ج٢، ٥٣٤. وانظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٣ ص ٣٦١.
(٢) انظر: أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٥ ص٦٥.

يتخلق بالأخلاق العملية للقران الكريم بالتكذيب بالدين ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ (الماعون: ١). (والمعنى انظر الذي كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات)(١).

إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن العمل الصالح، ليس مقصوراً على ما هو معروف من السلوكيات والأفعال؛ لان التعريف في قوله (الصالحات) يفيد الاستغراق، فهو يتناول جميع الأعمال الصالحة التي تصدر عن المؤمن بالله تعالى، فهو كما يشمل العبادات العملية كالصلاة ونحوها، يشمل – كذلك – تفاعل الإنسان مع مظاهر الكون وتسخيرها والاستفادة منها بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع والإنسانية.

وانظر إلى آيات الله تعالى التي تُلْفِتُ النظر إلى خلق السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران: ١٩٠). وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١). وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق: ٥). فالله تعالى (لما أثبت أن له (أي للإنسان) عقلاً يرشد إلى المصالح، ويكف عن المضار حثه على استعماله فيما ينفعه، وعدم تعطيله وإلغائه. كأنه قيل: فلينظر بعقله، وليتفكر به في مبدأ خلقه؛ حتى يتضح له قدرة واهبه)(٢). فكل هذه الآيات وغيرها مما يقود الإنسان إلى معرفة الله تعالى وتقوية صلته به، وتأمل دلالة التذييل في هذه الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥). أي: (بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحاناً، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة تبعثون بعد

---

(١) محمد بن أحمد بن جُزي الغرناطي ت ٧٤١ هـ، **التسهيل لعلوم التنزيل**، بعناية عبدالله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ج ٢ ص ٢١٩

(٢) الألوسي، **روح المعاني**، ج ٣٠ ص ٩٦

موتكم)[1]، فالله تعالى يبين أن الهدف الكبير هو خشية الله تعالى وتقواه، وابتغاء وجهه للفوز بالجنة.

فالتربية حريصة على تنمية الإيمان عن طريق علوم الطبيعة حرصاً لا يقل عن تنمية ذلك الإيمان عن طريق العلوم الشرعية.

أخلص مما تقدم بيانه إلى أن الأعمال الصالحة إنما هي صدى لمقتضيات الإيمان وتعبير عنه، ومن هنا يتعين على كل من له صلة بالتربية، أن يدرك هذه الحقيقة ويعيها تماماً، وأن يكون قدوة فيما يقول.

ومن هذا المنطلق لا بد من التأكيد على هذه الآثار في بناء الإنسان، حتى تتحقق التربية الإيمانية السديدة، وذلك من خلال أمور عدة، منها: الجانب العلمي، والتطبيق العملي، والقدوة الحسنة، فبمقدار ما ترتبط هذه القضايا المهمة بمقدار ما نتمكن من الوصول إلى نتائج موفقة، وبمقدار ما يحصل من انفكاك بينها، فإنه يؤدي إلى جوانب سلبية، إذ لا يجوز بحال أن يتحدث مرشد – مثلاً – عن الفضائل وقيمتها، ولا يتقيد بما قال، ولا يمارسه في سلوكه، بل يرينا من أفعاله المشينة ما تشمئز منه القلوب. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢، ٣).

ومن أقوال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى – في هذا الصدد وهو يتحدث عن وظائف العلم –: (أن يكون المعلم عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعلُه، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العملُ العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئاً وقال للناس: لا تتناولوه فإنه سُمٌّ مهلك سخر الناس منه واتهموه، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون: لولا انه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به؛ ولذلك قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

(١) السعدي ، **تيسير الكريم** الرحمن، ج ١، ص ٨٧٧.

وقال تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ففي قوله تعالى: (توبيخ عظيم ومعنى الجملة: أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه، حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه، وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول؛ لأن العقول تأباه وتدفعه)[2]!

فالقدوة الحسنة لها الأثر الطيب والفعال والأثر المهم في تحقيق الأهداف المرجوة والمقاصد المرغوبة.

فما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه التربية الأصيلة المستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهماً وعملاً وقدوة، إن تربية هذه شأنها في نظر القرآن الكريم والسنة المباركة والواقع التاريخي لا بد أن تتصف بمزايا أصيلة إذا أدركت حق الإدراك، وقدرت كما ينبغي لها التقدير، وأن تصنع الإنسان السوي.

المطلب الثالث

التواصي بالحق والصبر

يقول الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣)

الربط بين هذا النص والذي قبله: لما بين الله تعالى في قوله السابق (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أن المستثنين بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر، وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤدي بهم إلى الفوز بالثواب، والنجاة من العقاب، حثهم في الآية التي معنا (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ......) والتواصي بالصبر لهم ولغيرهم من المؤمنين؛ كي يكونوا سبباً لطاعات الآخرين، كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين، وهذا يقتضي منهم حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابهم ما يحرم، إذ

---

(١) انظر: محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ - ١١١١م، **إحياء علوم الدين**، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٨م ج١ ص٧ والآية من (سورة البقرة: آية ٤٤).

(٢) الزمخشري، **الكشاف** ، ج ١ / ١٦٢.

الإقدام على المكروه والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد(١). وهذا من أساسيات الدين، وموجبات الإيمان، وشروط النجاة من الخسران.

أولاً: التواصي بالحق:

معنى التواصي: جاء في قواميس اللغة العربية: (وصى الشيء يصي إذا اتصل، ووصاه غيره يوصيه: وصله)(٢)، ويقال: (وأوصاه ووصاه توصية: عهد إليه والاسم: الوصاة، والوصاية، والوصية. وهو الموصى به أيضاً. وقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ﴾ (الذاريات: ٥٣): أوصى به أولهم آخرهم(٣). و(الوصية: التقدم إلي الغير بما يعمل به، مقترناً بوعظ، من قولهم أرض واصية متصلة النبات)(٤).

أما معنى الحق في اللغة: فيقال: (حقُّ الشيءُ يحق بالكسر حقاً: أي وجب. وأحقه غيره: أوجبه، واستحقه أي: استوجبه، وتحقق عنده الخبر: صح)(٥).

وعلى ضوء ما تقدم، يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾، أي أوصى بعضهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به، هذا، وقد قيل في معنى الحق أقوال أخرى، وكلها متقاربة. منها: قيل: الحق كل ما كان ضد الباطل، فيشمل عمل الطاعات، وترك المعاصي، واعتبر هذا أساساً من أسس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقرينة التواصي بالصبر، أي على الأمر والنهي. وقيل: الحق هو القرآن الكريم؛ لشموله كل أمر ونهي، وكل خير، فكان حقاً؛ لأنه أمر ثابت لا يجوز إنكاره، ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره، وهو الخير كله: من توحيد

---

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٢ / ص ٨٣.
(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٥ / ص٣٩٥.
(٣) انظر الفيرروزآبادي، **القاموس المحيط**/ طبعة الحلبي وشركاه – القاهرة، ج ١ ص١٧٣١.
(٤) الراغب ، **المفردات**، ج١، ص ٥٢٥، وانظر: **حاشية الجمل، ج** ٤ ص٥٨٣.
(٥) **مختار الصحاح**، ٦٢/١، وهذا ما قاله صاحب كتاب **المصباح المنير، ج** ١ص ١٤٣، ١٤٤.

الله تعالى وطاعته، واتباع كتبه ورسله في كل عمل، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، (١) وغير ذلك مما يدخل في الحق. ويشهد لذلك قوله تعالى في حق القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (الزمر: ٢).

وقد جاءت آيات في القرآن الكريم تدل على أن الوصية بالحق تشمل الشريعة كلها، أصولها وفروعها، ماضيها وحاضرها، من ذلك ما وصى الله به الأنبياء عموماً، من نوح وإبراهيم ومن بعدهم في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟...﴾ (الشورى: ١٣)، وقد كانت هذه الوصية عمل الرسل لأممهم ومن بعدهم ، فنفذها إبراهيم عليه السلام وابنه يعقوب من بعد – عليهما السلام – كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢) وقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣). وهكذا فقد أوصى الأنبياء أبناءهم وأممهم بأصل الإيمان وعموم الشريعة، وكذلك أوصاهم بالعبادة من صلاة وزكاة، كما في قوله تعالى عن نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣١). وكذلك أوصى الله تعالى الناس عموما بعدة وصايا من أهمها الوصية بالوالدين والأولاد، لترابط الأسرة، ففي الوصية بالوالدين قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤). وفي الوصية بالأبناء قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

(١) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٩، ص ١٩٧.

ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ....﴾ (النساء: ١١) وفي الوصايا بالحقوق من أوامر ونواهي، وعبادات ومعاملات، جاءت آيات الوصايا العشر التي قال عنها ابن مسعود رضي الله عنه: (من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عليها ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ (الأنعام: ١٥١-١٥٣). تلك الوصايا الجامعة أبواب الخير الموصدة أبواب الشر والمذيلة بهذا التبيين والتعريف، وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه لا تتبعوا السبل[(١)].

والحقيقة: أن هذا الحث من الله تعالى للمؤمنين من الثبات على الحق في قوله تعالى (وتواصوا بالحق) لأنه ثقيل، وأن المحن تلازمه، ولذلك قرن به التواصي، والذي يلفت النظر أن الله تعالى قال في الجملة الكريمة: (وتواصوا) ولم يقل: (ويتواصون): لئلا يقع أمراً لان الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي، وذلك يفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل[(٢)]. ومن أسرار البيان: إفراد التواصي بالحق، وتخصيصه بالذكر، مع أنه داخل في عمل الصالحات، فهو من عطف الخاص على العام، وذلك للدلالة على عظيم قدره، وفخامة شرفه؛ للاعتناء به؛ لأهميته[(٣)].

(١) انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج١ ص ٩٤، ٩٥.
(٢) وانظر الفخر الرازي، **التفسير الكبير** ٣٢ / ٨٥.
(٣) انظر الشوكاني: **فتح القدير**، ج٥، ٤٩٢، **والبيضاوي**، أنوار التنزيل ج٥، ص ٥٢٦.

ثانياً: التواصي بالصبر (وتواصوا بالصبر)

معنى الصبر لغة: قال أهل اللغة: الصبر: نقيض الجزع. يقال: صبر يصبر فهو صابر وصبير وصبور وتصبر واصطبر وأصبر(١).

وأما معناه شرعا فهو: (الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحْبَ الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، ويضاده المذل، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً، ونبه عليه بقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧) ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ (الحج: ٣٥)(٢).

وقيل في تعريفه: هو قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم أو الملل، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز(٣).

فهو تعالى لما بين أن العمل الصالح والدعوة إلى الحق والتواصي به، فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغالباً من يقوم به يتعرض لأذى الناس، فلزمهم التواصي بالصبر، كما قال لقمان لابنه يوصيه – جامعاً في وصيته وصية سورة العصر – إذ قال: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ

---

(١) **القاموس المحيط** ١/٥٤١ وهذا ما ورد في **مختار الصحاح**، الصبر حبس النفس عن الجزع وبابه: ضرب، وصبره: حبسه قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الكهف ٢٨. ج١، ١٤٩.

(٢) الراغب ا، **المفردات ج١** ص ٢٧٣، وانظر أحمد الشرباصي، **أخلاق القران**، ج١ ص ١٩١.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ط٣، ج ٢، ص ٥٠٣.

عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧) ففضيلة الصبر من دلائل صدق الإيمان بالله تعالى، فانه لا يصبر لحكم الله تعالى وأوامره إلا مؤمن به مقدر لحكمه، حتى إن أكثر أخلاق الإيمان داخلة فيه، ولذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات مرة عن الإيمان قال: [الصبر](١)، لأنه أكثر أعمالها وأعزها(٢)، ولذا عني القرآن الكريم به عناية فائقة، واعتبره ضرورة ملحة لأهل الإيمان؛ لأنهم بحكم دعوتهم إلى الحق والتواصي به – كما بينت آنفا – يكونون الأكثر تعرضاً للأذى والاضطهاد والتعذيب والمحن في أموالهم وأنفسهم، ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ (البقرة: ٢١٤). ويأتي في مقدمة هؤلاء أولو العزم من الرسل ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ....﴾ (الأحقاف: ٣٥)، ثم الأمثل فالأمثل.

وما كان هذا الابتلاء لأهل الإيمان إلا لإبراز أهمية الصبر في حياتهم؛ لأنه هو السبيل لقيادتهم في الدنيا والإمامة في الدين، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤). فهذا يوسف عليه السلام قد بلغ ما بلغ من منزلة عالية في التمكين والإمامة إنما كان ذلك بفضل الله عز وجل ثم بفضل صبره، حيث قال: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن

(١) والحديث: عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، من تبعك على هذا الأمر؟ (قال حُرٌّ وعبد)، قلت: ما الإسلام؟ (قال: طيب الكلام، وإطعام الطعام). قلت: ما الإيمان؟ (قال: الصبر)، الحديث أصله عند مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، إسلام عمرو بن عبسة رقم (٨٣٢) مطولاً، وأخرجه باللفظ السابق: الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ج٤ ص ٣٨٥ رقم ١٩٤٥٤.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٩٧٨ م، ج٤/ ٦٦، ٦٧، وانظر أحمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي ت ٦٨٩هـ، **مختصر منهاج القاصدين**، تحقيق، على الحلبي، دار عمار، عمان، ١٤٠٦ هـ، ط١، ص ٢٩٢.

يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠)، فقد كافأه الله تعالى مكافأة سخية على ما اتصف به من مراقبة لله تعالى وصبر على ما تعرض له من كيد إخوانه، ومن كيد إمرأة العزيز، وكيد النسوة، إذ أهله هذا الابتلاء الشديد لبلوغ هذه الغاية النبيلة[١]. ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة: ٣).

ولأهمية صفة الصبر، نرى أن الله تعالى قد جعلها صفة من صفاته، فهو لا يعاجل الكفار والعصاة من المؤمنين بالانتقام، فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم[٢]، كما جعلها صفة من صفات الأنبياء، فقد اشتهر به أيوب عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ (ص: ٤٤). كما نلمس أهمية الصبر بان جعل الله تعالى جزاءه عظيما، ولو لم يكن منها إلا محبة الله تعالى للصابرين لكفى ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، وهو معهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).

هذا فضلاً عن البشارة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)، كما وعدهم الله تعالى بمضاعفة الأجر والثواب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ (القصص: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (الزمر: ١٠). كما أنها من صفات أهل التدبر والاعتبار الذين يتفكرون في الآيات الكونية التي بثها الله تعالى في الآفاق، وأحوال الأمم السابقة ومآلهم: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ (إبراهيم: ٥)،

---

(١) انظر: حبنكه، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق، ، ج٢ / ٨٣٣.

(٢) **صحيح البخاري** ، كتاب الادب، ج٥، باب الصبر على الأذى برقم (٦٠٩٩)، وانظر **صحيح مسلم في كتاب صفة القيامة**، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل برقم ٢٨٠٤.

وغير ذلك من ثمرات الصبر الطيبة التي تنعكس على الأفراد والجماعات، ومن هنا ندرك لماذا أفاض القرآن الكريم في الحديث عن الصبر في سوره المكي منها والمدني، وكذلك في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأهميته لدى المؤمن حتى يقتبس منه ما ينير له الطريق للوصول إلى ضالته المنشودة التي يحبها الله ورسوله..

الأسرار البيانية في قوله تعالى (وتواصوا بالصبر)

والحقيقة: أنا نلمس هذه الأهمية من السياق القرآني في سورة العصر، وهذا يدل على بلاغة هذه السورة الكريمة، نلحظ ذلك بأن جعل التواصي بالصبر قريباً للتواصي بالحق، وفي ذلك دليل على عظم قدره وفخامة شرفه ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

وأيضاً التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق، مع اندراجه تحت الإيمان، فإفراده بالذكر، وتخصيصه بالنص عليه مع إعادة الجار والفعل المتعلق، هو لإبراز كمال العناية به، ولبيان أنه من أعظم الأدلة على إنافته على خصال الحق، ومزيد شرفه عليها، وارتفاع طبقته عليها(١).

كما أنه السبيل إلى التحلي والثبات على كل الفضائل، سيما وطريق الحق محفوف بالأشواك والمتاعب، ولا طريق لمواصلة السير إلا بالصبر. وقيل: تخصيص الصبر بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق؛ لأن الأول: عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى، والثاني: عبارة عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى، فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق إليه من فعل وترك، بل هي تلقِّي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهراً وباطناً(٢).

---

(١) انظر: الشوكاني، **فتح القدر**، ٥ ص ٤٩٢ والالوسي، **روح المعاني**، ج ٣٠، ص ٢٢٩.

(٢) انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ٩/١٩٧، **والألوسي، روح المعاني** ج٣٠، ص٢٢٩.

ومن الأسرار البيانية التي تجلت في قوله: (وتواصوا بالصبر) **أنه لم يحدد نوع الصبر**، فقد جاء عاماً، وذلك للإشارة إلى أن أنواعه متعددة، ومجالاته كثيرة، ويمكن دمجها في ثلاثة أنواع.

أولاً: الصبر على الطاعات، وهي كثيرة يطول بنا المقام لو قمنا على استعراضها ونذكر منها على سبيل المثال.

(أ) العبادات، وفي مقدمتها الصلاة، وقد ذكرها الله تعالى ذكراً صريحاً في نصوص قرآنية كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ (طه: ١٣٢)، وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥)، ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ (الكهف: ٢٨)، فالصلاة تقتضي التجرد لله تعالى والتعلق به والانصراف عن الدنيا والبعد عن ملذاتها، وهذا يتطلب الصبر لتحقيق الغرض المنشود من إقامة الصلاة، وهو البعد عن الفحشاء والمنكر، كما نص على ذلك القرآن الكريم، ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وإلا فما الفائدة من صلاة لا أثر لها في سلوك فاعلها. وما قيل في الصلاة يقال في غيرها من العبادات فكلها بحاجة إلى الصبر.

(ب) الصبر في الجهاد لما فيه من تعرض المجاهد للتضحية بالنفس والمال؛ ولذا جاء الحث عليه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠). وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥).

ثانياً: الصبر على المصائب: إن الحياة لا تخلو من المحن والابتلاءات، فهي سنة إلهية ماضية في الخلق إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢). وقوله ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في ولده وماله[(١)]؛ لذا فقد ارشد المولى جل جلاله إلى التحلي بالصبر عند نزول البلاء، وبشر الصابرين على ذلك بالثواب الجزيل والأجر الكبير. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧)،

والصبر عند الصدمة الأولى كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: (اتقي الله واصبري) فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك فقال: [إنما الصبر عند أول صدمة أو قال عند أول الصدمة][(٢)].

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣٩٩)، وقال عقبه: حسن، صحيح..

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب زيارة القبور برقم (١٢٨٣). **صحيح مسلم** / في كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة برقم (٩٢٦)، وانظر مسند أحمد بن حنبل برقم**١٢٣٣٩**.

ثالثاً: الصبر على مجاهدة النفس في ترك المعاصي، وكفها من الاسترسال في الهوى والشهوة، وهذا بلا شك يحتاج إلى جهد كبير من المقاومة لتلك المغريات مما زين للناس من النساء والبنين والمال ونحوها، مما ورد في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ....﴾ (آل عمران: ١٤)؛ وذلك لأن النفس الإنسانية تواقة لتحصيل كل ممنوع، وكل محظور مرغوب. يقول الأمام الغزالي (وأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة، فان العادة طبيعة خاصة، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى، فلا يقوى باعث الدين على قمعها، ثم إن كان ذلك الفعل مما يكثر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس، كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، وأنواع المزح المؤذي للقلوب، وضروب الكلمات التي يقصد بها الازدراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم، وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم، فإن في ظاهره غيبة، وفي باطنه ثناء على الناس)[١]. فمجيء الصبر في الآية الكريمة عاماً ليتناول ما قد ذكرت وما لم أذكر[٢]، لبيان أنه مطلوب ومتعين في جميع الأحوال، ولا يقتصر على بعض دون بعض.

وهكذا تبين لنا بحق أن سورة (العصر) جاءت جامعة لمقومات المجتمع المتكامل، ذلك المجتمع الذي يكون قوامه الفضائل المثلى، والمبادئ السامية. والله ولي التوفيق.

---

(١) أبو حامد الغزالي، **أحياء علوم الدين**، ٤/ ٨٩.

(٢) كالصبر في طلب العلم، انظر الآيات ٦٦ – ٦٩ في سورة الكهف. والصبر في معاملة الناس، ومخالطتهم بالمعروف. انظر الآية: (١٩٩ في سورة الأعراف)، و(الآيتين ٣٤، ٣٥) في سورة فصلت. وغير ذلك من أنواع الصبر.

الخاتمة

ظهر لي من خلال هذا البحث بعض النتائج التي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

(أولاً): إن سورة (العصر) على الرغم من أن عدد آياتها قليلة، إلا أنها على قدر كبير من الأهمية، وذلك لأنها وضعت منهجاً أصيلاً متكاملاً، ومضبوطاً بقواعد سليمة، من التزم بها فاز في الدنيا والآخرة، ونال الدرجات العلا.

(ثانياً): بيان أهمية القسم بالعصر، وسائر مخلوقاته سبحانه؛ لأنها تدل على عظمة بارئها، وهو الله تعالى، وتشير في نفس الوقت إلى فضيلتها وشرفها ومنفعتها؛ ليعتبر بها من يعتبر، كما أن في القسم توكيداً وتحقيقاً لما يقسم عليه من نفي أو إثبات.

(ثالثاً): إن الإنسان لفي خسر عظيم، لا يعلم كنهه إلا الله تعالى إلا من اتصف بأربع صفات هي: الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر على طاعة الله تعالى، فإنهم خرجوا عن أن يكونوا في خسر، وصاروا أرباب السعادة، من حيث إنهم تمسكوا بما يؤدي بهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب.

(رابعاً): من القضايا الضرورية والملحة، بناء الإنسان وفق اتباع منهج علمي منضبط، ولا يتحقق ذلك إلا بما يلي.

(أ) بكتاب الله تعالى، فهو وحده الذي ضمنه الله عز وجل كل شيء كما قال الله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)، ومن ضمن ذلك: المنهج القويم المتوازن الصحيح، ذلك المنهج الذي تجلى بأسمى صورة في سورة العصر.

(أ) الإيمان بالله تعالى بمفهومه الصحيح الشامل الذي ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، باعتباره القاعدة

والمرتكز؛ لأنه ينمي في ذات الإنسان كل معاني المبادئ السامية، والقيم العليا الرفيعة من العلم النافع، والأخلاق الفاضلة، وغيرهما مما يصلح القلوب، ويهيئ النفوس، ويصنع العجائب، وينشئ الإنسان خلقا آخر.

(ب) الأعمال الصالحة صدى لمقتضيات الإيمان وتعبير عنه، كما هي من دلائل صدقه. إذ لا قيمة لها ولا وزن إن لم يحكمها الإيمان. فبدونه تصبح كالشجر بدون ظل ولا ثمر، وكالجسد بدون روح، أو كالعرض بلا جوهر.

(ج) من أهم مقومات بناء الإنسان التي تعني بها سورة العصر: التواصي بالحق، بأن يوصي المؤمنون بعضهم بعضاً به، فقد صاروا لشدة محبتهم لطاعة الله تعالى لا يقتصرون على ما يخصهم، بل يوصون غيرهم أن يكونوا على طريقتهم، ليكونوا سبباً لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الحق. وكذلك التواصي بالصبر، بحمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب، إذ الصبر لازم عمل الطاعات، وترك المنكرات، وهذا من موجبات الإيمان وشروط النجاة من الخسران. والله الموفق.

فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم

٢ - أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي ت٤٥٨هـ **سنن البيهقي الصغرى**، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣ - أحمد بن تيمية الحراني ت ٧٢٨ هـ، **دقائق التفسير** / لشيخ الإسلام تحقيق محمد السيد الجلنيد - مؤسسة علوم القرآن - بيروت - الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ.

٤ - أحمد بن عبد الرحمن ابن قدامه المقدسي ت ٦٨٩هـ، **مختصر منهاج القاصدين**، تحقيق، على الحلبي، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٠٦ هـ، .

٥ - أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.

٦ - أحمد بن فارس الرازي ت٣٩٥هـ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون - طبع دار الفكر - بيروت.

٧ - اسحق أحمد الفرحان / **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.**

٨ - إسماعيل حقي البروسوي ت ١١٢٧هـ، **تنوير الأذهان من تفسير روح البيان**، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، طبعة دار القلم - دمشق - الطبعة الثانية دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩ - إسماعيل بن كثير القرشي، (ت٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - القاهرة. و طبعة دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ

١٠- حسن أحمد البنا ت ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، **مجموع الرسائل.**

١١- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ، **المفردات**

في غريب القرآن – تحقيق: محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى.

١٢- سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني الازدي ت ٢٧٥هـ، **سنن أبي داود**، دار الفكر، بيروت.

١٣- سليمان بن عبد القوي الطوفي، **الإكسير في علم التفسير**، تحقيق د/عبد القادر حسين / مكتبة الآداب – القاهرة.

١٤- سليمان بن عمر الجمل ت ١٢٠٤ هـ، الفتوحات الالهية، حاشية الجمل على الجلالين.

١٥- سيد قطب، منهج التربية الإسلامية.

١٦- عبد الحق بن غالب الغرناطي ت ٥٤٦هـ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله/ طبعة دار الفكر العربي – القاهرة.

١٧- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، **الإتقان في علوم القرآن** – تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م – دار ابن كثير، . وانظر طبعة دار الفكر /ط١/ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٨- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ، **تناسق الدرر في تناسب السور.**

١٩- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**– الطبعة الأولى – دار الفكر – بيروت ١٩٨٣م.

٢٠- عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧هـ، **تفسير القران الكريم**، المكتبة العصرية صيدا.

٢١- عبد الرحمن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق، دار القلم، ط٣، ١٩٩٢م.

٢٢- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦ هـ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الرياض ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى.

٢٣- عبد الله بن أحمد النسفي ت ٧١٠هـ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، المكتبة الأموية - بيروت

٢٤- عبد الله بن عمر البيضاوي، ت٦٨٥هـ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢٥- علي بن عبد الحي الندوي ت ١٤٢٠ هـ، **نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية**، دار المعرفة، بيروت.

٢٦- فتحي الدريني، **خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم** - الطبعة الأولى - بيروت مؤسسة الرسالة - ١٩٨٢م.

٢٧- فتحي الدر يني، **دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر** / دار قتيبة /.

٢٨- مالك بن نبي ت ١٣٩٣ هـ، **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠م

٢٩- محمد بن احمد الأزهري ت ٣٧٠ هـ، **تهذيب اللغة** / تحقيق علي حسن هلالي / الدار المصرية وانظر: تحقيق /إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - ١٩٦٧م.

٣٠- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت٦٧١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣١- محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي ت ٧٤١ هـ، **التسهيل لعلوم التنزيل**، **باعتناء عبدالله الخالدي، دار الارقم، بيروت.**

٣٢- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت٢٥٦هـ، **صحيح البخاري المسمى (الجامع الصحيح)**، طبعة مصطفى ألبابي الحلبي بمصر - ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.

٣٣- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦ هـ، **مختار الصحاح**، دار الفكر العربي – بيروت.

٣٤- محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، **التبيان في أقسام القرآن**، دار الفكر، بدون.

٣٥- محمد بن ابي بكر قيم الجوزية، **التفسير القيم**، تحقيق فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

٣٦- محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ، **(جامع البيان عن تأويل آي القران)**، دار المعرفة / بيروت، ط ٣ / ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م وانظر طبعة دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثالثة / ١٩٨٨م. وانظر طبعة دار الفكر- بيروت – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٧- محمد سعد الزهري ت٢٣٠هـ، **الطبقات الكبرى**، بيروت – ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

٣٨- محمد السيد الطنطاوي، **التفسير الوسيط للقران الكريم**، دار الرسالة، ط٣، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٧م.

٣٩- محمد الطاهر بن عاشور ١٢٨٤هـ، **تفسير التحرير والتنوير**، طبعة الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤هـ.

٤٠- محمد بن عبدالله الزركشي ت ٧٩٤هـ، **البرهان في علوم القرآن** – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – سوريا، الطبعة الأولى – ١٣٧٦هـ وانظر طبعة دار المعرفة – بيروت – ط١ / ١٣٩١هـ.

٤١- محمد بن على الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ – ١٨٣٤م، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار المعرفة، بيروت، وانظر/ طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٢- محمد بن عمر الرازي ت ٦٠٦ هـ، **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ– ٢٠٠٠م، .

٤٣- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت٢٧٩هـ، **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤- محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ- ١١١١م، **إحياء علوم الدين**، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٨م،

٤٥- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ، **أضواء البيان في إيضاح القران بالقرآن**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٦- محمد محمد أبو شهبة، **المدخل لدراسة القران الكريم**، دار اللواء / الرياض / ١٤٤٠٧هـ ط٣، ١٩٨٧ م

٤٧- محمد مرتضى الزبيديت ١٢٠٥هـ، **تاج العروس من جواهر القاموس** /، دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازي - الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ. و طبعة دار الهداية.

٤٨- محمد بن مصطفى العمادي ت٩٨٢ هـ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** / دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٩- محمد بن منظور الافريقي، ت٧١١هـ - ١٣١١م، **لسان العرب**، دار صادر، ودار بيروت - بيروت - ١٣٧٥م، و دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٠-

٥١- محمد بن يعقوب الفيرروزآبادي ت ٨١٧هـ، **القاموس المحيط**، طبعة الحلبي وشركاه - القاهرة. وتحقيق / يوسف محمد البقاعي / دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٥٢- محمد بن يوسف الغرناطي ت٧٤٥هـ، **تفسير البحر المحيط**، ط: دار الفكر / بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٨م.

٥٣- محمود السيد سلطان، **النظرية التربوية في الإسلام.**

٥٤- محمود بن عبد الله شكري الالوسي ت ١٢٧٠هـ، **روح المعاني في**

تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، طبعة دار الفكر – بيروت. و دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٥- محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة للنشر والطباعة، بيروت. وانظر نسخة تحقيق محمد مرسي عامر، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧م / مكتبة عبد الرحمن محمد، القاهرة.

٥٦- مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ **صحيح مسلم**، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون ذكر سنة النشر.

٥٧- نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، **تفسير القران العظيم**، دراسة وتحقيق د: عبد الرحيم احمد الزقة، العراق، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٥٨- يحي بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ، **شرح النووي على صحيح مسلم**، المطبعة المصرية ومكتبتها.

٥٩- يعيش بن على ت ٦٤٣هـ، **شرح المفصل** ج٩ / ص ٩٠.

٦٠- يوسف القرضاوي، **الإسلام حضارة الغد**، الناشر، مكتبة وهبة، القاهرة.